مدينة القطائع في مصر (من تأسيسها سنة ٢٥٦هـ وحتى زوالها سنة ٢٩٢هـ)
- دراسة تاريخية مقارنة -

The city of Al-Qata'i in Egypt

(from its founding in 256 AH until its demise in 292 AH)

a comparative historical study

م.د. هند جودت كاظم

كلية التربية للعلوم الصرفة

جامعة ديالى

hind. jawdat@uodiyala.edu.iq

d.Hind Jawdat Kadhim

University of Diyala

College of Education for Pure Sciences

hind. jawdat@uodiyala.edu.iq

الملخص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ، فان دراسة التأريخ تتطلب منا التوقف عند المدن والبلدان ، والتمعن فيما ضمته بلادنا العربية الاسلامية من حواضر اندثر بعضها وظل الآخر شامخا رغم مرور الازمان ، ومن بين المدن التي ذكرها المؤرخون في كتبهم وانمحت آثارها هي (مدينة القطائع) التي بناها وأسسها أحمد بن طولون في مصر فكانت عاصمة لها ومقرا لإقامة دولته ، فأحسن بناءها وتعميرها ،وظلت زمنا محط أنظار الناس حتى لحق بها الدمار والخراب وامسى ذكرها بين طيات الكتب والتأريخ ، ونحن في دراستنا هذه نتوقف امام هذه المدينة بالدراسة والتحليل والوصف والمقارنة ، فجاء عنوان بحثنا:(مدينة القطائع في مصر (من تأسيسها سنة ٢٥٦هـ وحتى زوالها سنة ٢٩٢هـ) دراسة تاريخية مقارنة)، ومن هذا فقد كان من لوازم البحث تقسميه الى ثلاثة مباحث وخاتمة ، درس المبحث الأول :مدينة القطائع (مفهومها ، موقعها ،صفتها ، أجزائها) وقد اشتمل على سبعة مطالب ، وخص المبحث الثاني : قصر ابن طولون وميدانه ، وجاء على ستة مطالب ، وتناول المبحث الثالث : جامع احمد بن طولون ، وقد تضمن تسعة مطالب ، وختمنا البحث بخاتمة بينا فيها أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: مدينة ، القطائع ، مصر ، تاريخية ، مقارنة.

Summary:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon our Master Muhammad, and upon all his family and

companions. And now.

Studying history requires us to stop at cities and countries, and to contemplate the cities that our Arab Islamic countries included, some of which have disappeared, while others have remained proud despite the passage of time. Among the cities that historians mentioned in their books, and whose traces

have been erased, is (the city of Al-Qata'i).

It was built and founded by Ahmad Ibn Tulun in Egypt, and was the capital and seat of his state. He built and constructed it well, and it remained the focus of people's attention for a period of time until it was destroyed and ruined, and its memory

became recorded in books and history.

Keywords: City, Al-Qata'i, Egypt, Historical, Comparison.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فان دراسة التأريخ تتطلب منا التوقف عند المدن والبلدان ، والتمعن فيما ضمته بلادنا العربية الاسلامية من حواضر اندثر بعضها وظل الآخر شامخا رغم مرور الازمان ، ومن بين المدن التي ذكرها المؤرخون في كتبهم وانمحت آثارها هي (مدينة القطائع) التي بناها وأسسها أحمد بن طولون في مصر فكانت عاصمة لها ومقرا لإقامة دولته ، فأحسن بناءها وتعميرها ،وظلت زمنا محط أنظار الناس حتى لحق بها الدمار والخراب وامسى ذكرها بين طيات الكتب والتأريخ.

ونحن في دراستنا هذه نتوقف امام هذه المدينة بالدراسة والتحليل والوصف والمقارنة ، فجاء عنوان بحثنا:(مدينة القطائع في مصر (من تأسيسها سنة ٢٥٦هـ وحتى زوالها سنة ٢٩٢هـ) دراسة تاريخية مقارنة)، ومن هذا فقد كان من لوازم البحث تقسميه الى ثلاثة مباحث وخاتمة .

درس المبحث الأول :مدينة القطائع (مفهومها ، موقعها ،صفتها ، أجزائها) وقد اشتمل على سبعة مطالب.

وخص المبحث الثاني : قصر ابن طولون وميدانه ، وجاء على ستة مطالب.

وتناول المبحث الثالث : جامع احمد بن طولون ، وقد تضمن تسعة مطالب.

وختمنا البحث بخاتمة بينا فيها أهم النتائج.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد انه سميع مجيب وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
مدينة القطائع (مفهومها ، موقعها ،صفتها ، أجزائها)

المطلب الأول: تعريف مدينة القطائع

بداية نقف عند معنى القطائع في اللغة ، وهي من (قَطَعَ) ، الْقَافُ وَالطَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى صَرْمٍ وَإِبَانَةِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَطَعْتُ الشَّيْءَ أَقْطَعُهُ قَطْعًا ،وقَطَعْتُ قَطْعًا. وَقَطَعَتِ الطَّيْرُ قُطُوعًا، إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بِلَادِ الْبَرْدِ إِلَى بِلَادِ الْحَرِّ، أَوْ مِنْ تِلْكَ إِلَى هَذِهِ ، وَأَقْطَعْتُ الرَّجُلَ إِقْطَاعًا، كَأَنَّهُ طَائِفَةٌ قَدْ قُطِعَتْ مِنْ بَلَدٍ ، والقِطعةُ: طائفة من كل شيء والجمع القِطَعات والقِطَعُ والأَقْطَاعُ ، والقُطْعَةُ أيضاً: قطعة من الأرض إذا كانت مفروزة. وحكى عن أعرابي أنه قال: « ورثت من أبى قطعة. »[(١)] .

أما عن مفهوم مدينة القطائع ، فقد ذكر البلوي[(٢)] تعريف القطائع ومفهومها بشكل لم يتوسع فيه فقال :(ثم قطعت القطائع ، وسميت كل قطيعة باسم من يسكنها ،فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطيعة أخرى ، وللفراشين قطيعة مفردة ، ولغيرهم من كل صنف من الغلمان)[(٣)].

وهو نفس تعريف باقي المؤرخين الا انهم تباينوا من حيث التوسع والاختصار في بيان ذلك المفهوم .

---

(١) ينظر : العين ، الخليل:١/١٣٥، مادة : قطع ، ومعجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس:٥/١٠١، مادة :قطع ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري :٣/١٢٦٧، مادة :قطع.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عُمير بن محفوظ المديني القُضاعي البلوي ، فقيه ومؤرخ، لا تعرف سنة ولادته ويرجح أنه عاش في الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري، يُعرف بالبلوي نسبة إلى قبيلة بَلِيّ المتفرعة من قبيلة قضاعة . وكتاب (سيرة أحمد بن طولون) هو أشهر مصنفات البلوي ، وهو كتاب روى فيه تاريخ ابن طولون بأسلوب قصصي، وعرض لتفاصيل أهملها المؤرخون فكان خير مرجع لتاريخ. ابن طولون . ينظر : سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٣ ، ومعجم المؤلفين ،عمر بن رضا :٦/١٣٤، ومعجم معالم الحجاز ، عاتق بن غيث البلادي :٢٣.

(٣) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٤.

قال المقريزي[1]: (والقطائع: عدّة قطع، تسكن فيها عبيد ابن طولون، وعساكره وغلمانه، وكل قطيعة لطائفة، فيقال: قطيعة السودان، وقطيعة الروم، وقطيعة الفرّاشين، ونحو ذلك، فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة) [2]

وقال ابن تغري بردي[3]: (والقطائع عدّة قطع يسكن فيها عبيد الأمير أحمد بن طولون وعساكره وغلمانه.) [4]

وأضاف متوسعا في بيان المفهوم بقوله : (قلت: والقطائع كانت بمعنى الأطباق التي للمماليك السلطانية الآن، وكانت كلّ قطيعة لطائفة تسمّى بها، فكانت قطيعة تسمّى قطيعة السودان، وقطيعة الروم، وقطيعة الفرّاشين- وهم نوع من الجمدارية الآن- ونحو ذلك. وكانت كل قطيعة لسكن جماعة ممن ذكرنا وهى بمنزلة الحارات اليوم) [5].

فابن تغري بردي بذكره لتعريف القطائع يوضح طبيعة كل قطيعة وما يقابلها في زمنه.

إذن الحاجة هي التي فرضت بناء مدينة القطائع ، فكان لاسم المدينة علاقة بالحاجة التي اسست من أجلها.

---

(١) هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المَقْرِيزي ، مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبكّ، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبكّ في أيامه) ولد سنة (٧٦٦ هـ. ١٣٦٥م) ، وكانت ولادته ونشأته وموته في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة(٨١٠ هـ) وعرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر ، قال السخاوي: قرأت بخطه أن تصانيفه زادت على مئتى مجلد كبار ، توفي سنة (٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م). من مصنفاته : كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ويعرف بخطط المقريزي، وكتاب (السلوك في معرفة دول الملوك) ، و (تاريخ الأقباط) .ينظر : التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، الغزالي:٢١ ،والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني:٧٩/١..

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي:١٢٢/٢

(٣) هو يوسف بن تَغْري بِرْدِي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين ،ولد سنة ((٨١٣ هـ - ١٤١٠ م) ، مؤرخ بحاثة. من أهل القاهرة، مولدا ووفاة. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، ومات بدمشق سنة ٨١٥ هـ ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (المتوفى سنة ٨٢٤) وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتأريخ ، توفي سنة (٨٧٤ هـ - ١٤٧٠ م). من مصنفاته (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ، و (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي). ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي:٩/١ ـ ١٢، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، :٣١٧/٧. والاعلام ، الزركلي : ٢٢٣/٨.

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي : ١٥/٣.

(٥) المصدر نفسه : ١٥/٣

المطلب الثاني: سبب بناء مدينة القطائع

يذكر البلوي السبب الرئيس لبناء مدينة القطائع بضيق المكان عليه وعلى جنده وحاشيته مما دفعه للتفكير بمكان أوسع ، فيقول في كتابه : (وعاد أحمد بن طولون الى مصر ، وقد استكثر من العبيد والرجال والآلآت ، فضاقت به داره ، وكان هو والامراء من قبله يسكنون في الدار التي تعرف اليوم ببلد الامارة التي لها بابان احدهما بالحارة المعروفة بحوض ابي قديرة ، والمعروف الى اليوم بباب الخاصة وبابها الاخر الملاصق للشرطة الفوقانية ، وكان باب الشرطة أيضا أحد ابوابها ، وكانت كلها دارا واحدة ولها باب الى المسجد الملاصق للشرطة ، وكان يجمع فيه الجمعة ، وفيه منبره ومقصورته الى اليوم ، وانما فرقت هذه الدار حجرا بعد دخول محمد بن سليمان البلد ، وبعد انحلال امر ال طولون ، وكانت في ايام هارون بن خمارويه قد صيرت ديوانا للخراج.) [(١)].

وقد وافق المؤرخون البلوي في عرضه لسبب بناء مدينة القطائع كالاصطخري[(٢)] والمقريزي[(٣)]، وابن تغري بردي[(٤)] ، والسيوطي[(٥)].

(١) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٤.

(٢) هو إبراهيم بن محمد الفارسيّ، أبو إسحاق الإصطخري ويقال له الكرخي: جغرافي، رحالة، من العلماء. من أهل إصطخر (بإيران) قام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند، وبلغ الأوقيانوس الأتلانتيكي، واستعان بكتاب (صور الأقاليم) ل أبي زيد البلخي، ولم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره، فألف كتابيه (صور الأقاليم - ط) على اسم كتاب البلخي، و (مسالك الممالك - ط) ونقل ياقوت عنهما أو عن أحدهما في معجم البلدان،اوفي سنة (٣٤٦ هـ ـ ٩٥٧ م) . ينظر : المسالك والممالك ، الاصطخري :٤٩ ، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمد أمين: ١/ ٦.

(٣) ينظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :١٢٢/٢.

(٤) ينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي : ١٥/٣.

(٥) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي (٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ م) من كتبه (الإتقان في علوم القرآن - ط) و (الأشباه والنظائر - ط) في العربية، و (بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة - ط) و (تاريخ الخلفاء - ط) .ينظر : والضوء اللامع ، السخاوي ٤: ٦٥ ، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي:٢٥/١، وشذرات الذهب ، ابن العماد :٨: ٥١ .

قال السيوطي: ((ولما فتح عمرو بن العاص[١] مصر أمر المسلمين أن يحيطوا حول فسطاطه، ففعلوا، واتصلت العمارة بعضها ببعض، وسمي مجموع ذلك الفسطاط. ولم يزل مقرًّا للولاية والجند إلى أن وليه أحمد بن طولون، فضاق بالجند والرعية، فبنى في شرقيه مدينة، وسماها القطائع، وأسكنها الجند، يكون مقدارها ميلًا في ميل) [٢].

فلم يذكر المؤرخون سببا آخر لذلك سوى ضيق المكان وعدم ملائمته الجمع الكبير من جيش وحاشية ابن طولون.

وربما كان في عقلية ابن طولون ما هو أبعد من ذلك إذ كان بعيد النظر فربما أرد أن يخلد اسمه بمدينة خاصة يكون له فضل تأسيسها وانشاءها على غرار عمل السلاطين والخلفاء.

المطلب الثالث: مكان مدينة القطائع

حدد البلوي مكان مدينة القطائع بقوله : (فركب احمد بن طولون الى سفح الجبل ، فاختط فيه قصرا ، وامر اصحابه وغلمانه وتباعه ان يختطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه فاختط الناس وبنوا ، حتى اتصل البناء بعمارة البلد ، وهي هذه الدور الشارعة[٣] من حد قيسارية بدر الى سوق الدواب. واتصل البناء والعمارة من الجانب الآخر الى ان جاوز المدينة) [٤].

وهذا المكان هو عين ماذكره باقي المؤرخين ولم يختلفوا فيه ، الا ان بعضهم اضاف تفصيلا أكثر من ذلك ، يقول المقريزي : (فركب إلى سفح الجبل في شعبان، وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى، واختط موضعها فبنى القصر والميدان، وتقدّم إلى أصحابه وغلمانه وأتباعه أن يختطوا لأنفسهم حوله، فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء لعمارة الفسطاط) [٥]

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله: فاتح مصر، أسلم في هدنة الحديبيّة. وولاه النبي صلى الله عليه وسلم إمرة جيش « ذات السلاسل « وأمده ب أبي بكر وعمر. ثم استعمله على عُمان. ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر.وهو الّذي افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية. وولاه عمر فلسطين، ثم مصر فافتتحها .توفي بالقاهرة سنة (٤٣ هـ - ٦٦٤ م). . ينظر : وتاريخ الإسلام، للذهبي ٢: ٢٣٥ – ٢٤٠،والإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني: ت ٥٨٨٤

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي: ١/٢٥.

(٣) الدَّار الشارعة: الَّتِي قد دنت من الطَّرِيق وقَرُبتْ من النَّاس. وَهَذَا كلُّه راجعٌ إِلَى شيءٍ وَاحِد، إِلَى القُرب من الشَّيْء والإشراف عَلَيْهِ. ينظر : تهذيب اللغة ، الأزهري :١/٢٧٣، مادة : شرع

(٤) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٤.

(٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٢/١٢٢

وقال السيوطي : (وهي مدينة بناها ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن، وبين الكبارة وما بين كوم الجارح وقناطر السباع؛ فهذه كانت القطائع) [(١)]

فقد اتفق المؤرخون على مكانها وتفاوتت أوصافهم لذلك حسب تعبير كل مؤرخ على ما يراه في ذلك.

المطلب الرابع: صفة وعمارة مدينة القطائع

تعرض البلوي لصفة مدينة القطائع وعمارتها في موضعين:

الأول : قوله : (وبنى القواد مواضع متعددة ، فعمرت عمارة حسنة ، تفرقت فيها السكك والأزقة ، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران)[(٢)] .

الثاني: قوله : (فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام واكبر واحسن) [(٣)].

ولاشك ان المتأمل لهذه الوصف يجده موجزا لما كانت عليه هذه المدينة ، وربما السبب ان الكتاب لم تكن غايته وصف مدينة القطائع بقدر ما كان غايته وصف شخصية القائد احمد بن طولون.

وقد تابعه في هذا الوصف المقريزي بقوله : (فصارت القطائع مدينة كبيرة، أعمر وأحسن من الشام) [(٤)] ، وابن تغري بردي بقوله : (وعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرّقت فيما السكك والأزقّة، وعمرت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمّامات والأفران والحوانيت والشوارع)[(٥)].

يتضح روعة وجمال هذه المدينة ، وحسن التنظيم والتخطيط والعمران ، فغدت تضاهي مثيلاتها من المدن المشهورة آنذاك.

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي : ٢٤٦/٢.
(٢) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٤.
(٣) المصدر نفسه:٥٤.
(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :١٢٢/٢.
(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي : ١٦/٣.

المطلب الخامس: أسواق مدينة القطائع

تطرق البلوي لأسواق القطائع بشكل مختصر دون تفصيل فلم يترك لنا دراسة تمكننا من التوقف عند كل مهنة وتجارة وحرفة فيها ، فيقول : (وسميت اسواقها ، فسمي بها سوق العيارين يجمع فيه البزازين والعطارين ، وسوق الفاميين[(١)] يجمع فيه الجزارين والبقالين والشوائين ، وكان في دكاكين الفاميين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة واكثر واحسن ، وسوق الطباخين يجمع فيه الصيارفة والخبازين واصحاب الحلواء ، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقا حسنا عامرا نبيلا صينا) [(٢)].

ثم جاء المقريزي ليذكر ما ذكره البلوي فيقول : (وسميت أسواقها، فقيل: سوق العيارين، وكان يجمع العطارين والبزازين، وسوق الفاميين، ويجمع الجزارين والبقالين والشوّايين، فكان في دكاكين الفاميين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن، وسوق الطباخين، ويجمع الصيارف، والخبازين والحلوانيين، ولكل من الباعة سوق حسن عامر)[(٣)]

ولم نجد في المصادر التأريخية الأخرى تفصيلا عن اسواق مدينة القطائع أكثر مما ذكره البلوي في كتابه (سيرة احمد بن طولون).

يتبين لنا اهمية تخطيط وعمارة الاسواق فهي شريان حياة الناس ، كما ان لهذا التنظيم أثر في تيسير العاملين فيها .

المطلب السادس: بناء المرافق الأخرى في المدينة

اقتصر البلوي في ذكره لمرافق المدينة الأخرى (عدا القصر والميدان والجامع) على العين المعروفة بعين ابي ابن خليد) فقال : (ومنه (اي المال الذي وجده فوق الجبل) بنى العين المعروفة بعين أبي ابن خليد) [(٤)] .

ولم يذكر غير ذلك من التفاصيل والاجزاء الاخرى للمدينة ، بل حتى انه لم يفصل طبيعة هذه العين ومكانها.

لكن نجد غيره من المؤرخين قد توسعوا في ذلك ، فهذا المقريزي يجمل أولا ذكر مفاصل المدينة بقوله : (وبنى العين والسقاية بالمغافر، وبنى تنور فرعون فوق الجبل، واتسعت أحواله

(١) الفامِيّ: السُّكريّ. ينظر : ينظر : تهذيب اللغة ، الأزهري:١٥/٤١٢، مادة : فام.
(٢) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٤.
(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٢/١٢٢
(٤) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٦.

وكثرت اصطبلاته وكراعه، وعظم صيته، كانت بمصر خاصة في كل سنة مائة ألف دينار، فأظفره الله عقيب ذلك، بكنز فيه ألف ألف دينار: بنى منه المارستان) ((١))

ثم توسع المقريزي في وصف الاضافات التي قم بها خمارويه((٢)) على مدينة القطائع .، فقد فصل القول وتوسع كثيرا في ذلك.

وقد تطرق السيوطي لذكر المارستان في كتابه (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) فيقول : (قال الخطيب: ركب أحمد بن طولون يومًا يتصيد بمصر، فغاصت قوائم فرسه في الرمل، فأمر بكشف ذلك الموضع، فظهر له كنز فيه ألف ألف دينار، فأنفقها في أبواب البر والصدقات، وبنى منها الجامع، وأنفق عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وبنى المارستان، وأنفق عليه ستين ألف دينار) ((٣)).

لقد كان الامير احمد بن طولون ذا أفق واسع في نظرته لبناء المدينة ، فعمل على توسعها واضافة المرافق المتعددة لها ، وقد تابعه على ذلك الامير خمارويه فجاد وابدع .

المطلب السابع: زوال اثر مدينة القطائع ودمارها

ذكر المقريزي نهاية مطاف هذه المدينة ودمارها بشكل موجز دون تفصيل ، فقال :(اعلم: أنّ القطائع قد زالت آثارها، ولم يبق لها رسم يعرف) ((٤)) وقد توسع بعض المؤرخين في بيان ذلك الدمار وزوال هذه المدينة الجميلة ، يقول الكندي : (ثمَّ دخل محمد بْن سُلَيْمَان الكاتب يوم الخميس لمستهلّ ربيع الأوَّل سنة اثنتين وتسعين ومائتين، فأمر بإحراق القطائع، فأُحرقت ونهب أصحابه الفُسطاط يومئذٍ، فركِب محمد بْن سُلَيْمَان، فطافها، وأطلق من فِي السجون، وسكَّن الناس ودعا من الغد عَلَى المِنبر لأمير المؤمنين المُكتفِي بالله وحده، وصرف مُوسَى بْن طُونيق عَن الفُسطاط). ((٥))

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :١٢٣/٢.

(٢) هو خمارويه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش: من مولك الدولة الطولونية بمصر. وليها بعد وفاة أبيه (سنة ٢٧٠ هـ وله من العمر عشرون عاما. وأنشأ بستانا وقصرا من أعجب المباني. وفي أواخر أيامه تزوج المعتضد العباسي ابنته (قطر الندى) . وكان شجاعا حازما، فيه ميل إلى اللهو. اتسع الملك في أيامه، فكان له من الفرات الى بلاد النوبة. ولد في سامراء، وقتله غلمانه على فراشه سنة (٢٨٢ هـ ـ ٨٩٦ م) ينظر : وفيات الأعيان ، ابن خلكان: ١/ ١٧٤ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي:٤٩/٣.

(٣) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي : ٢٤٧/٢.

(٤) المصدر نفسه:١٢٢/٢.

(٥) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، للكندي :١٨٢/١.

وتوقف ابن خلدون امام هذه الحادثة بقوله : (فركب محمد (بن سليمان) إلى مصر واستولى عليها، وقيّد بني طولون وحبسهم، وكانوا سبعة عشر رجلا. وكتب بالفتح فأمره المكتفي بإشخاص بني طولون جميعا من مصر والشام إلى بغداد، فبعث بهم. ثم أمر بإحراق القطائع التي بناها أحمد بن طولون على شرقي مصر، وكانت ميلا في ميل فأحرقت ونهب الفسطاط) ((١)).

وذكر السيوطي دمار المدينة في أكثر من موضع ، فقال : (ولم تزل عامرة إلى أن هدمها محمد بن سليمان الكاتب في أيام المكتفي، حنقًا على بني طولون سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأبقى الجامع)((٢)).

ويذكر السيوطي رؤيا أحمد بن طولون في حرق ودمار المدينة بقوله : (قال: ولما تم بناء الجامع رأى ابن طولون في منامه كأن الله تجلى للقصور التي حول الجامع، ولم يتجل للجامع، فسأل المعبرين، فقالوا: يخرب ما حوله، ويبقى الجامع قائما وحده. قال: ومن أين لكم هذا؟ قالوا: من قوله تعالى: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}((٣)). وقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا تجلى الله لشيء خضع له"، فكان كما قالوا.) ((٤)).

لقد كان لهذه المدينة ان تقف بين أسطر التأريخ ماشاء الله لها ان تقف ثم تصبح شيئا من الماضي ، فقد درست آثارها ، وبقيت أخبارها ، وهي نموذج للعمارة والفن الاسلامي الذي امد الحضارة العالمية بجمال الهندسة والعمران.

(١) المصدر: ١/١٨٢.

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ابن خلدون: ٤/٤٠٣.

(٣) سورة الأعراف : آية : ١٤٣.

(٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ، السيوطي : ٢/٢٤٧.

المبحث الثاني
قصر ابن طولون وميدانه

المطلب الأول: بناء القصر والميدان

ذكر البلوي بناء قصر احمد بن طولون وميدانه ذكرا مجملا دون تفصيل فيقول: (وبنى قصره ووسعه وحسنه ، وبنى فيه ميدانا حسنا يضرب فيه بالصوالجة ، فسمي القصر كله الميدان من اجل الميدان ، فكان كل من اراد الخروج من صغير او كبير سئل عن ذهابه فيقول الى الميدان)((١)).

أما المقريزي فقد توسع في ذلك فقال محددا المكان أولا فقال : (وتحت قبة الهواء: قصر ابن طولون، وموضع هذا القصر: الميدان السلطانيّ تحت القلعة والرميلة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال. كانت بستانا، ويجاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم: بالقبيبات، فيصير الميدان، فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون، وبحذاء الجامع: دار الأمارة في جهته القبلية، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب، وهناك أيضا دار الحرم) ((٢))

ثم بين صفته التي ذكرها البلوي ، فقال : (وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه، وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة، فسمي القصر كله الميدان، وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير إذا سئل عن ذهابه يقول: إلى الميدان)((٣))

ومن ثم توسع المقريزي بشكل كبير في بيان الاضافات التي قام بها خمارويه للقصر والميدان.

اما ابن تغري بردي فقد اجمل الكلام ايضا عن ذكر القصر والميدان ولم يتوسع في ذلك وليس فيه اضافات لما سبق((٤)).

أما عن تكاليف بناء الميدان فقد أجمل البلوي تكاليف بناء الميدان بقوله :(وانفق في بناء الميدان مائة وخمسين الف دينار)((٥))

---

(١) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٤.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :١٢٢/٢

(٣) المصدر نفسه:١٢٢/٢

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي: ١٥/٣

(٥) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٣٥١.

ولم يتوسع في ذلك ، ولم نجد عند المؤرخين ما له اضافة على ما قاله البلوي في ذكره لتكلفة بناء القصر والميدان.

لقد كان القصر والميدان ابرز معالم المدينة وقلبها النابض بالحياة ، ولم يكن هذا المعلم مقصورا على الاسرة الحاكمة وانما كان للطبقة العامة موضع قدم فيه مما أضفى عليه رونقا وجمالا.

المطلب الثاني: ابواب القصر والميدان

اخذت ابواب القصر حيزا في كتاب سيرة احمد بن طولون ، ولاشك انها كانت ابواب مميزة جعلت البلوي يتوقف عندها فيقول : (وعمل له ابوابا وسمي كل باب منها باسم ، فمنها باب الميدان ، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وسمي باب الصوالجة ، وباب الخاصة لايدخل منه الا خاصته ، وما كان مما يلي المقطم سمي باب الجبل ، وباب للحرم ولا يدخل منه الا خادم أو حرمة ، وباب سمي باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدرمون لانه كان رجلا أسود عظيم الخلق ، وقلد النظر في جنايات الغلمان السودان ، والرجالة خاصة ، فسمي باب الدرمون ، وباب آخر سمي باسم حاجب كان عليه يقال له دعناج ، وباب عمل من خشب الساج سمي باب الساج ، وباب في الشارع الاعظم ، كان يخرج منه الى الجامع الذي بناه فسمي باب الصلاة ، وصور عليه سبعين من جبس . وهذا الباب قائم بحاله الى اليوم ، وهو يعرف بباب السباع أيضا في أول سوق الدواب . وكان الطريق الذي يعرج منه الفاصل الى قصره طريقا واسعا ، ولم يكن يكتنفه باب واحد ولا بابان ، فقطعه بحائط ، وعمل فيه ثلاثة ابواب كاكبر ما يكون من الابواب وكانت الدروب متصلة كلها واحد الى جانب واحد ، يفرق بين الناس الركن الذي ينصفق اليه الدرب . فكان اذا ركب احمد بن طولون لعيد او لغيره يخرج عسكره منه ، متكاثف الخروج ، على حسن ترتيب بغير زحمة ، ويخرج هو من الباب الاوسط منها ، لايختلط به أحد ، فتلك السكة الى اليوم تسمى ثلاثة أبواب . ومن هذه الابواب واحد قائم الى اليوم ، ودخل البابان الآخران بعدهما في بناء الناس لما انقضت ايامهم وخربت القطائع).[(١)]

ثم أضاف أيضا : (وكانت ابواب قصره ، التي سمينا قبل هذا ، تفتح بعد عرض الجيش أو يوم صدقة ، وسائر الايام تفتح على ترتيب في وقت ، وتغلق في وقت).[(٢)]

(١) المصدر نفسه :٥٤ ـ ٥٥.

(٢) المصدر نفسه:٥٤ ـ ٥٥.

وقد تابعه في ذكرها واوصافها المقريزي[١] ، وابن تغري بردي[٢] ، الا ان ابن تغردي بردي أضاف في ذكره للأبواب شبابيكا تقابل هذه الأبواب فيقول: (وكان للقصر شبابيك تفتح من سائر نواحى الأبواب تشرف كلّ جهة على باب) [٣].

يتبين لنا اهتمام الامير ومهندسه بأبواب القصر والميدان لذلك من اهمية فنية وعمرانية في تكامل المدينة وحسن تنظيمها وتخطيطها.

المطلب الثالث: مجلس القصر

تناول البلوي ذكر مجلس احمد بن طولون في قصره في أكثر من موضع ، وهو مكان اتخذه في القصر لاسباب متعددة ، يقول البلوي : (وكان له في قصره مجلس يشرف منه يوم العرض، ويوم المساكين ، فينفذ منه من يدخل الى جنب الخارج ، فكانوا يردون من باب الصوالجة ويصدرون من باب السباع) [٤].

وأضاف البلوي أيضا : (وبنى على باب السباع مجلسا يشرف منه ليلة العيد على القطائع ، فيرى اضطراب الغلمان في تأهبهم ، وتصرفهم في حوائجهم ، على مقدار كل واحد منهم ، فاذا شاهد من واحد منهم يسيرا من الاختلال ، أمر له في الوقت بما يتسع به ، ويزيد في جماله . وكان يشرف منه أيضا على البحر ، وعلى باب المدينة وما والاهما ، وكانت متنزها حسنا) [٥].

وقد بين البلوي بعض اسباب هذا المجلس فذكر ان ابن طولون كان يجلس فيه ليشاهد الفقراء وهم يأكلون من المائدة التي هيأها لهم فيحمد الله تعالى ويشكره على ذلك ، يقول البلوي : (وكانت لذته وشهوته كلها فيما يصنع في كل جمعة من الاطعمة الواسعة العظيمة لكل صنف من الحلواء وتنصب الموائد ، ويحضر الناس من كل نوع من فقير ومستور ومتجمل ومحتاج ، ومن يتقرب اليه بأن يراه وقد اكل طعامه ، فيقربه ذلك من قلبه ، وهو جالس في مستشرف له ينظر اليهم ، ويفرح بما يراه منهم ، فساعة يسجد شكرا لله ، وساعة يقف يصلي ركعتين ، وساعة يدعو الله ، وساعة يبكي ، ويطالب الناس بأن يزلوا ، ولايخرج احد الا ومعه الزلة الطبيرة العظيمة

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي : ١٢٣/٢ .
(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي : ١٦/٣.
(٣) المصدر نفسه: ١٦/٣.
(٤) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٥.
(٥) المصدر نفسه:٥٥.

، فاذا انصرفوا حمد الله وشكره)[1].

يتبين لنا أهمية هذا المجلس وأثره النفسي والمادي في حياة الامير احمد بن طولون ومن جاء بعده ، فهو موضع القيادة الروحي ، وموضع التواصل مع الرعية ، وفيه الراحة والسلامة والاطمئنان.

المطلب الرابع: حجرة المكبرين

يذكر المقريزي ان احمد بن طولون اتخذ حجرة خاصة للمكبرين والمسبحين وقراء القرآن ، فيقول :(وكان أحمد بن طولون، قد اتخذ حجرة بقربه فيها رجال سمّاهم بالمكبرين عدّتهم اثنا عشر رجلا يبيت منهم في كل ليلة أربعة يتعاقبون الليل نوبا يكبرون ويسبحون ويحمدون، ويهللون ويقرءون القرآن تطريبا بألحان، ويتوسلون بقصائد زهدية، ويؤذنون أوقات الأذان، فلما ولي خمارويه: أقرّهم على حالهم، وأجراهم على رسمهم، وكان يجلس للشرب مع حظاياه في الليل، وقيناته تغنين، فإذا سمع أصوات هؤلاء يذكرون الله، والقدح في يده وضعه بالأرض، وأسكت مغنياته، وذكر الله معهم أبدا، حتى يسكت القوم لا يضجره ذلك، ولا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع.) [2]

وقد ذكر المؤرخون هذه الحجرة أيضا ، قال ابن تغري بردي : (ثم جعل بالقرب من قصره حجرة فيها رجال سمّاهم بالمكبّرين عدّتهم اثنا عشر رجلا، يبيت فى كلّ ليلة منهم أربعة يتعاقبون بالليل نوبا، يكبّرون ويهلّلون ويسبّحون ويقرءون القرآن بطيّب الألحان ويترسّلون بقصائد زهديّة ويؤذّنون أوقات الأذان؛ وكان هو أيضا من أطيب الناس صوتا). [3]

وكما اهتم الامير احمد بن طولون بالنواحي الدنيوية كان اهتمامه بالنواحي الدينية كبيرا ، ومن مظاهر ذلك (حجرة المكبرين) ففي سماع تهليلهم وتكبيرهم في الغدو والآصال وقراءة القرآن ، وسماع الأذان الاثر الاجمل في نفسه واسرته ، وهذا شأن الحاكم الفاضل.

(١) المصدر نفسه: ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٦/٢.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي : ١٧/٣.

المطلب الخامس: توسعة القصر والميدان بالحدائق والحيوانات

بين المقريزي ان خمارويه أجرى اضافات كثيرة على قصر أبيه ، ووسع أجزاءه ومفاصله كثيرا ،ومن ذلك إضافة الحدائق والحيوانات ، فيقول : (فلما مات أحمد بن طولون، وقام من بعده ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه، وزاد فيه، وأخذ الميدان الذي كان لأبيه، فجعله كله بستانا، وزرع فيه أنواع الرياحين، وأصناف الشجر، ونقل إليه الودى اللطيف الذي ينال ثمره القائم، ومنه ما يتناوله الجالس من أصناف خيار النخل، وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب، وأنواع الورد، وزرع فيه الزعفران، وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة، وجعل بين النحاس، وأجساد النخل مزاريب الرصاص، وأجرى فيها الماء المدبر، فكان يخرج من تضاعيف، قائم النخل عيون الماء، فتنحدر إلى فساقي معمولة، ويفيض منها الماء إلى مجار تسقي سائر البستان، وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة، وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستانيّ بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة، وزرع فيه النيلوفر الأحمر، والأزرق والأصفر والجنوى العجيب، وأهدى إليه من خراسان وغيرها، كل أصل عجيب، وطعموا له شجر المشمش باللوز، وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن، وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ، ليقوم مقام الأقفاص، وزوّقه بأصناف الأصباغ وبلط أرضه، وجعل في تضاعيفه أنهارا لطافا جدا ولها يجري فيها الماء مدبرا من السواقي التي تدور على الآبار العذبة، ويسقي منها الأشجار وغيرها، وسرّح في هذا البرج من أصناف القماري ، والدباسي ، والنونيات، وكل طائر مستحسن حسن الصوت، فكانت الطير تشرب، وتغتسل من تلك الأنهار الجارية في البرج، وجعل فيه أوكارا في قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان، لتفرخ الطيور فيها، وعارض لها فيه عيدانا ممكنة في جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح، وسرّح في البستان من الطير العجيب كالطواويس، ودجاج الحبش، ونحوها شيئا كثيرا.) ((١))

وبعد ذكره للحيوانات بشكل مجمل يبدأ بالتفصيل في ذكر بيوت السباع والحيوانات الأخرى وطعامها وانواعها فيقول :(وبنى أيضا في داره: دارا للسباع عمل فيها بيوتا بآزاج، كل بيت يسع سبعا، ولبوته، وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات، ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل، وفي جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه المال، وبين يدي هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

بها، وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير، فإذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع وظيفة اللحم التى لغذائه، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت، وصاح بالسبع، فيخرج إلى القاعة المذكورة، ويردّ الباب، ثم ينزل إلى البيت من الطاق، فيكنس الزبل، ويبدّل الرمل بغيره مما هو نظيف، ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معدّ لذلك بعدما يخلص ما فيه من الغدد، ويقطعه لهما، ويغسل الحوض، ويملأه ماء، ثم يخرج ويرفع الباب من أعلاه، وقد عرف السبع ذاك، فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل إليه الأسد، فأكل ما هيئ له من اللحم، حتى يستوفيه، ويشرب من الماء كفايته، فكانت هذه مملوءة من السباع، ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع، فتخرج إلى القاعة، وتتمشى فيها وتمرح وتلعب، ويهارش بعضها بعضا، فتقيم يوما كاملا إلى العشيّ، فيصبح بها السّواس، فيدخل كل سبع إلى بيته لا يتخطاه إلى غيره.) ((١))

ثم يتوقف عند أحد السباع الذي اسمه (زريق) ليخصه بالذكر فيقول : (وكان من جملة هذه السباع: سبع أزرق العينين يقال له: زريق قد أنس بخمارويه، وصار مطلقا في الدار لا يؤذي أحدا، ويقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم، فإذا نصبت مائدة خمارويه أقبل زريق معها، وربض بين يديه، فرمى إليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة، والفضلة الصالحة من الجدي، ونحو ذلك مما على المائدة، فيتفكه به.وكانت له لبوة لم تستأنس كما أنس، فكانت مقصورة في بيت، ولها وقت معروف يجتمع معها فيه، فإذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه، فإن كان قد نام على سرير ربض بين يدي السرير، وجعل يراعيه، ما دام نائما، وإن كان إنما نام على الأرض بقي قريبا منه، وتفطن لمن يدخل، ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة، وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك، ودرب عليه، وكان في عنقه طوق من ذهب، فلا يقدر أحد من أن يدنو من خمارويه ما دام نائما لمراعاة زريق له، وحراسته إياه حتى إذا شاء الله إنفاذ قضائه في خمارويه كان بدمشق، وزريق غائب عنه بمصر، ليعلم أنه لا يغني حذر من قدر) ((٢))

ولايخفى لكل متأمل لهذه الروايات من التصنع والمجافاة للحقيقة والواقع ، كما ان باقي المؤرخين لم يتعرضوا لهذه التفاصيل التي لم نسمع بها الا في كتب الحكايات والقصص.

ثم توجه بحديثه عن تلك البركة العجيبة التي اقيمت في القصر بقوله : (وجعل بين يدي هذا البيت فسقية مقدّرة وملأها زئبقا، وذلك أنه شكا إلى طبيبه كثرة السهر، فأشار عليه بالتغمير ، فأنف من ذلك، وقال: لا أقدر على وضع يد أحد عليّ، فقال له: تأمر بعمل بركة من زئبق،

(١) المصدر نفسه :١٢٦/٢.

(٢) المصدر نفسه:٢٢٦/٢ ـ ٢٢٧.

فعمل بركة يقال: إنها خمسون ذراعا طولا في خمسين ذراعا عرضا، وملأها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالا عظيمة، وجعل في أركان البركة سككا من الفضة الخالصة، وجعل في السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة في حلق من الفضة، وعمل فرشا من أدم يحشى بالريح حتى ينتفخ، فيحكم حينئذ شدّة، ويلقي على تلك البركة الزئبق، وتشدّ زنانير الحرير التي في حلق الفضة بسكك الفضة، وينام على هذا الفرش، فلا يزال الفرش يرتج ويتحرّك بحركة الزئبق، ما دام عليه، وكانت هذه البركة من أعظم ما سمع به من الهمم الملوكية، فكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب، إذا تألف نور القمر بنور الزئبق، ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدّة يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة، وما عرف ملك قط تقدّم خمارويه في عمل مثل هذه البركة) ((١)) ولاشك ان في ذكر ووصف هذه البركة مبالغات ظاهرة لاتخفى وهي للقصة الأدبية الخالية أقرب منها للرواية التأريخية.

ولم يكتف المقريزي بهذا القدر من وصف الاضافات التي قام بها خمارويه بل انتقل الى قبة الدكة التي بناها بقوله :(وبنى أيضا في القصر قبة تضاهي قبة الهواء سماها الدكة، فكانت أحسن شيء بني، وجعل لها الستر التي تقي الحرّ والبرد، فتسبل إذا شاء، وترفع إذا أحب، وفرش أرضها بالفرش السرية، وعمل لكل فصل فرشا يليق به، وكان كثيرا ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان وغيره، ويرى الصحراء والنيل والجبل، وجميع المدينة) ((٢))

كما أشار المقريزي ان خمارويه بنى ميدانا ثانيا يضاف لميدان ابيه فقال : (وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه) ((٣))

ان هذه التوسعة في مرافق القصر والميدان بالحدائق والملحقات الأخرى دلالة على الرفاهية الحضارية والتطور الفكري والاستقرار المعيشي ، وفيه انعكاس للعصر الذي بنيت فيه هذه المدينة.

المطلب السادس: دار الحرم للنساء

يذكر المقريزي من ضمن اضافات خمارويه على اجزاء القصر بناءه لدار حرم النساء فيقول : (وبنى أيضا دار الحرم، ونقل إليها أمهات أولاد أبيه، مع أولادهنّ، وجعل معهنّ المعزولات من

(١) المصدر نفسه :١٢٥/٢.
(٢) المصدر نفسه:١٢٦/٢.
(٣) المصدر نفسه:١٢٦/٢.

أمهات أولاده، وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته، وفضل عنه منها شيء، وأقام لكل حجرة من الأنزال والوظائف الواسعة، ما كان يفضل عن أهلها منه شيء كثير، فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين، وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة الكبيرة، والتي فيها العدّة من الدجاج، فمنها ما قلع فخذها، ومنها ما قد تشعب صدرها، ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدي ولحوم الضأن، والعدّة من ألوان عديدة، والقطع الصالحة من الفالوذج، والكثير من اللوزينج، والقطائف والهرائس من العصيدة التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمامونية، وأشباه ذلك مع الأرغفة الكبار، واشتهر بمصر بيعهم لذلك، وعرفوا به، فكان الناس يتناوبونهم لذلك، وأكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين، ومنها ما يباع بدرهم، فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات، وكان شيئا موجودا في كل وقت لكثرته، واتساعه بحيث إنّ الرجل إذا طرقه ضيف، خرج من فوره إلى باب دار الحرم، فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه، مما لا يقدر على عمل مثله، ولا يتهيأ له من اللحوم، والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك.)»[1]

ان من اهم ما يركز عليه الحاكم في بناء مدينته التخطيط السليم لسكن الاسرة وموضع الحريم ، وقد كان هذه شأن ابن طولون في مدينته ، ويظهر من خلال الروايات التأريخية التي سقناها جمال وأناقة هذه المدينة.

(١) المصدر نفسه :١٢٧/٢.

المبحث الثالث
جامع احمد بن طولون

المطلب الأول: سبب بناء الجامع

يشكل جامع احمد بن طولون ابرز ملامح مدينته بل ظل هذا الصرح شامخا بعد حرق المدينة ودمارها ، ولم يتوسع البلوي في ذكره لهذا الجامع ، وانما ذكر سبب بناء الجامع بقوله : (وكان يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة ، فلما ضاق عنه بنى الجامع الجديد ، بما أفاء الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل ، في الموضع المعروف بتنور فرعون) [(١)]

وهو السبب نفسه الذي تابعه عليه المؤرخون ولم يذكروا سببا آخر لذلك ، قال المقريزي : (قال القضاعيّ[(٢)] رحمه الله، وذكر أن السبب في بنائه، أنّ أهل مصر شكوا إليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه، فأمر بإنشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم)[(٣)]

وكما اهتم ابن طولون بحرصه على سماع قراء القرآن قرب موضع حكمه واصوات التهليل والتكبير ، ورؤية الفقراء والمساكين امامه وهم بأفضل حال ، كان للمسجد مكانه الاكبر في هذه المدينة ، وقد حرص اشد الحرص على بنائه وعمارته فكان معلما ظاهرا للعيان وشاخصا على المدينة بكل مايحمله من معان.

---

(١) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٦.

(٢) هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، أبو عبد الله، القضاعي: مؤرخ، مفسر، من علماء الشافعية. كان كاتبا للوزير الجَرْجَرائِي (علي بن أحمد) بمصر، في أيام الفاطميين. وأرسل في سفارة إلى الروم، فأقام قليلا في القسطنطينية. وتولى القضاء بمصر نيابة، وتوفي فيها سنة (..٤٥٤ هـ = ٠٠٠ - ١٠٦٢ م) من كتبه (تفسير القرآن) عشرون مجلدا، و (الشهاب في المواعظ والآداب - ط) و (مناقب الشافعيّ وأخباره) و (الإنباء عن الأنبياء - خ) و (تواريخ الخلفاء) و (خطط مصر) اطلع عليه السيوطي، بخطه، ونقل عنه، و (درة الواعظين وذخر العابدين - خ) . ينظر : وفيات الأعيان ، ابن خلكان: ١/ ٤٦٢ ، والوافي بالوفيات ، الصفدي: ٣/ ١١٦ .

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٤٠/٤

المطلب الثاني: مصمم ومهندس الجامع

أجمل البلوي ذكر الرجل الذي تولى تصميم وبناء الجامع بقوله : (وتولى بناء العين والجامع رجل نصراني حاذق بالهندسة) ((١)).

بينما فصل المؤرخون الحديث في ذلك وربما كان في تفصيلهم بعض المبالغات ، قال المقريزي :(وراح أحمد بن طولون ونزل في الدار التي عملها فيه للإمارة، وقد فرشت وعلّقت وحملت إليها الآلات والأواني وصناديق الأشربة وما شاكلها، فنزل بها أحمد وجدّد طهره وغير ثيابه وخرج من بابها إلى المقصورة، فركع وسجد شكرا لله تعالى على ما أعانه عليه من ذلك ويسره له. فلما أراد الانصراف، خرج من المقصورة حتى أشرف على الفوّارة، وخرج إلى باب الريح. فصعد النصرانيّ الذي بنى الجامع ووقف إلى جانب المركب النحاس وصاح: يا أحمد بن طولون، يا أمير الأمان، عبدك يريد الجائزة ويسأل الأمان، أن لا يجري عليه مثل ما جرى في المرّة الأولى. فقال له أحمد بن طولون: انزل فقد أمّنك الله، ولك الجائزة. فنزل وخلع عليه وأمر له بعشرة آلاف دينار، وأجرى عليه الرزق الواسع إلى أن مات) ((٢))

والمتأمل بهندسة المسجد من قبل متخصص بغض النظر عن ديانته له أكثر من حكمة ، فهو يرسل رسائل بالعدالة الاجتماعية وعدم التمييز بينهم في الحقوق والواجبات ، كما يبين عظيم اهتمامه بالعلوم والفنون والعمارة ، وهو في ذلك نحى منحى عظماء الاسلام من القادة والحكام.

المطلب الثالث: مكان وزمان بناء الجامع

ذكر المقريزي مكان بناء الجامع بقوله :(هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر. قال ابن عبد الظاهر: وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء، وقيل أنّ موسى عليه السّلام ناجى ربه عليه بكلمات)((٣))

وقد اجمل المؤرخون ذكر مكان الجامع ، يقول الاصطخري في حديثه عن مصر : (وبها مسجدان للجمعة بنى احدهما عمرو ابن العاص فى وسط الاسواق والآخر باعلى الموقف بناه احمد بن طولون)((٤))

(١) سيرة أحمد بن طولون ، البلوي :٥٦.
(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٣٩/٤.
(٣) المصدر نفسه:٣٨/٤.
(٤) المسالك والممالك ، الاصطخري :٤٩.

أما عن زمن بناء الجامع فقد ذكر المقريزي في أكثر من موضع ، من ذلك قوله : (وابتدأ في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بناء القطائع، في سنة ثلاث وستين ومائتين.) ((١)) ، وقوله : (فابتدأ بنيانه في سنة ثلاث وستين ومائتين، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين)((٢)) ، وقوله : (وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين) ((٣)) وهذا ما ذكره اغلب المؤرخين.

وقد اختلف السيوطي في زمن الانتهاء منه بقوله : (وكان ابتداء بنائه في سنة ثلاث وستين ومائتين، وفرغ منه سنة ست وستين) ((٤)).

وفي موضع آخر نجد السيوطي يجمل زمن بنائه بقوله: (وابتدأ في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع) ((٥))

يتبين لنا من توثيق زمان ومكان المسجد اهميته ، فان الحوادث العظام هي التي تؤرخ ، وهذا يدل على عظيم مكانة المسجد في حياة ابن طولون.

المطلب الرابع: باقي أجزاء الجامع وصفاته

ذكر المقريزي باقي أجزاء الجامع بقوله : (وعمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية، وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة، وبناه على بناء جامع سامراء، وكذلك المنارة، وعلّق فيه سلاسل النحاس المفرغة، والقناديل المحكمة، وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية.) ((٦))

وقال في موضع آخر : (وقال ابن عبد الظاهر: سمعت غير واحد يقول إنه لما فرغ أحمد بن طولون من بناء هذا الجامع، أسرّ للناس بسماع ما يقوله الناس فيه من العيوب. فقال رجل: محرابه صغير، وقال آخر: ما فيه عمود. وقال آخر: ليست له ميضأة. فجمع الناس وقال: أما المحراب فإني رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد خطه لي، فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذي خطه لي، وأما العمد فإني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز، وما كنت لأشوبه بغيره، وهذه العمد إمّا أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها، وأما

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٣٨/٤.
(٢) المصدر نفسه:٤٠/٤.
(٣) المصدر نفسه:٣٩/٤.
(٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي : ٢٤٦/٢.
(٥) المصدر نفسه: ٢٤٦/٢.
(٦) المصدر نفسه:٤١/٤.

الميضأة فإني نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته منها، وها أنا أبنيها خلفه، ثم أمر ببنائها). ((١))

كما توقف المقريزي عند منارة الجامع فقال : (وقيل عن أحمد بن طولون أنه كان لا يعبث بشيء قط، فاتفق أنه أخذ درجا أبيض بيده وأخرجه ومدّه واستيقظ لنفسه وعلم أنه قد فطن به، وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته، فطلب المعمار على الجامع وقال: تبني المنارة التي للتأذين هكذا، فبنيت على تلك الصورة، والعامّة يقولون أن العشاري الذي على المنارة المذكورة يدور مع الشمس، وليس صحيحا وإنما يدور مع دوران الرياح) ((٢))

وذكر السيوطي تفصيلا آخر عن قبلة الجامع يقول فيه : (وسألوه أن يوسع قبلته، فذكر أن المهندسين اختلفوا في تحرير قبلته، فرأى في المنام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقول: يا أحمد، ابن قبلة هذا الجامع على هذا الموضع؛ وخط له في الأرض صورة ما يعمل. فلما كان الفجر مضى مسرعا إلى ذلك الموضع؛ فوجد صورة القبلة في الأرض مصورة، فبنى المحراب عليها، ولا يسعه أن يوسع فيه لأجل ذلك، فعظم شأن الجامع، وسألوه أن يزيد فيه زيادة، فزاد فيه.) ((٣))

ان عمارة متلقات المسجد لها الاثر الاكبر في راحة المصلين والمعتكفين والقاصدين لهذا المعلم المقدس ، وهو في ذلك نال شرف وخير الدنيا والآخرة .

المطلب الخامس: عمال بناء الجامع

وتوقف المقريزي ايضا عند عمال بناء الجامع فقال : (ورأى أحمد بن طولون الصنّاع يبنون في الجامع عند العشاء، وكان في شهر رمضان فقال: متى يشتري هؤلاء الضعفاء إفطارا لعيالهم وأولادهم، اصرفوهم العصر. فصارت سنّة إلى اليوم بمصر. فلما فرغ شهر رمضان، قيل له: قد انقضى شهر رمضان فيعودون إلى رسمهم. فقال: قد بلغني دعاؤهم، وقد تبرّكت به، وليس هذا مما يوفر العمل علينا)((٤))

(١) المصدر نفسه:٤٢/٤.

(٢) المصدر نفسه:٤٢/٤.

(٣) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي: ٢٤٧/٢.

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٣٩/٤.

نلحظ اهتمام الامير احمد بن طولون بأدق التفاصيل ، وهو هنا يقف امام عمال بناء الجامع بكل لطف وتسامح وهو يلتمس دعاءهم ، وفي هذا رسالة انسانية لرعاية الناس والعطف عليهم ورعاية حقوقهم.

المطلب السادس: تكاليف بناء الجامع

يذكر المقريزي اولا تكلفة بناء الجامع بقوله : (وبلغت النفقة على هذا الجامع في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار). ((١)) ، وهذا ما ذكره اغلب المؤرخين ، يقول السيوطي : (وبلغت النفقة عليه في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار). ((٢)).

اما عن مصدر هذا المال فقد ذكر المؤرخون حادثة الكنز الذي وجده ابن طولون ، وقد ذكر المقريزي هذه الرواية ولانجزم بصحتها فيقول: (وركب في غد ذلك اليوم إلى نحو الصعيد، فلما أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانه، وهو رمل، فسقط الغلام في الرمل، فإذا بفتق، ففتح فأصيب فيه من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار، وهو الكنز الذي شاع خبره، وكتب به إلى العراق أحمد بن طولون بخير المعتمد به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البرّ وغيرها، فبنى منه المارستان، ثم أصاب بعده في الجبل مالا عظيما، فبنى منه الجامع ووقف جميع ما بقي من المال في الصدقات). ((٣))

هذا ما ورد من رواية في تكاليف بناء الجامع وربما هناك مصادر اخرى لبنائه ، فهو بيت الله وعمارته لها اجر عظيم متواصل لايقف على زمن بنائه.

المطلب السابع: اجتماع الناس للصلاة فيه

يذكر المقريزي اجتماع الناس للصلاة وطلب العلم فيه فيقول : (وتقرّب الناس إلى ابن طولون بالصلاة فيه، وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة في فوّارة الجامع، ثم يخرجون بعد الصلاة إلى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم، مع كلّ واحد منهم ورّاق وعدّة غلمان). ((٤)).

وقد فصل بعض المؤرخين القول عند اكتمال بناء الجامع ودعوة الناس للصلاة فيه كالسيوطي الذي قال :(فلما كمل بناؤه أمر بأن يعمل دائرة منطقه عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين

(١) المصدر نفسه:٤/٤٠.

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي : ٢/٢٤٦.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٤/٤١.

(٤) المصدر نفسه:٤/٣٩.

، وأشعر الناس بالصلاة فيه، فلم يجتمع فيه أحد، وظنوا أنه بناه من مال حرام، فخطب فيه، وحلف أنه ما بني هذا المسجد بشيء من ماله، وإنما بناه بكنز ظفر به، وإن العشار الذي نصبه على منارته وجده في الكنز ، فصلى الناس فيه) ((١))

اذن عمارة بيت الله ليست ببنائه فقط وانما على الصلاة فيه وقراءة القرآن والاعتكاف وتدارس العلم ، وقد حرص ابن طولون على ذلك وحث عليه.

المطلب الثامن: علماء الجامع

ذكر المقريزي ان احمد بن طولون لما اكمل بناء الجامع احضر اليه العلماء والقراء والمحدثين فاقاموا فيه الدروس ، يقول : (ونقل إليه القرّاء والفقهاء، وصلّى فيه بكار بن قتيبة القاضي، وعمل الربيع بن سليمان بابا فيما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتا في الجنة»((٢)) . فلما كان أوّل جمعة صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصلاة، جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة، وقام المستملي وفتح باب المقصورة، وجلس أحمد بن طولون، ولم ينصرف والغلمان قيام وسائر الحجاب حتى فرغ المجلس، فلما فرغ المجلس خرج إليه غلام بكيس فيه ألف دينار وقال: يقول لك الأمير نفعك الله بما علّمك، وهذه لأبي طاهر، يعني ابنه، وتصدّق أحمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه، وعمل طعاما عظيما للفقراء والمساكين، وكان يوما عظيما حسنا) ((٣))

يتبين لنا حرص ابن طولون على وجود العلماء في امامة المسجد واقامة دروس العلم فيه وتعليم الناس امور دينهم ودنياهم ، وقد بذل في ذلك الوسع والطاقة ، فكان المسجد منارة للعلم والعلماء.

المطلب التاسع: الرؤى التي ذكرت في بناء الجامع

تطرق المقريزي لبعض الرؤى والمنامات والتي نسبت لاحمد بن طولون وربما كان ذلك من قبيل المبالغات واضفاء عناصر التشويق على الرواية ولسنا هنا في معرض الحكم على تلك الرؤى ، ولكننا ننقل ما ذكره المقريزي بشأنها ، ومن ذلك رؤياه في بناء الجامع ، يقول المقريزي :

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي: ٢٤٧/٢.

(٢) سنن ابن ماجه :٢٤٤/١ ، رقم :٧٣٨ ، باب : من بنى لله مسجدا ،ومسند أبي داود الطيالسي :٣٦٩/١ ، رقم :٤٦٣ ،باب :أحاديث ابي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٣٩/٤.

(وقيل أنه لما فرغ من بنائه رأى في منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله، فلما أصبح قص رؤياه، فقيل له: أبشر بقبول الجامع، لأنّ النار كانت في الزمان الماضي إذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته، ودليله قصة قابيل وهابل) [(١)]

ومن ذلك أيضا قول المقريزي : (ويقال أنّ أحمد بن طولون رأى في منامه كأنّ الله تعالى قد تجلّى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع، إلّا الجامع فإنه لم يقع عليه من النور شيء، فتألم وقال: والله ما بنيته إلّا لله خالصا، ومن المال الحلال الذي لا شبهة فيه. فقال له معبّر حاذق: هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله، لأنّ الله تعالى قال: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) [(٢)] فكل شيء يقع عليه جلال الله عز وجل لا يثبت. وقد صحّ تعبير هذه الرؤيا، فإن جميع ما حول الجامع خرب دهرا طويلا، كما تقدّم في موضعه من هذا الكتاب، وبقي الجامع عامرا، ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن.). [(٣)]

يتضح لنا الجانب الروحي والذي يمثل جانبا من شخصية ابن طولون ، والذي ظهر في اكثر من مثال ، وهو دافع للعمل الصالح ، والاقبال على المعروف في صوره المتعددة.

(١) المصدر نفسه:٤/٤٢.

(٢) سورة الأعراف: آية : ١٤٣.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقريزي :٤/٤٠.

الخاتمة

بعد انتهائنا من دراسة مدينة القطائع في مصر (من تأسيسها سنة ٢٥٦هـ وحتى زوالها سنة ٢٩٢هـ) دراسة تاريخية مقارنة تبين لنا ما يأتي:

أولا: القطائع هي عدّة قطع يسكن فيها عبيد الأمير أحمد بن طولون وعساكره وغلمانه.

ثانيا: السبب الرئيس لبناء مدينة القطائع هو ضيق المكان على الامير احمد بن طولون وعلى جنده وحاشيته مما دفعه للتفكير بمكان أوسع.

ثالثا :عمرت القطائع عمارة حسنة وتفرّقت فيما السكك والأزقّة، وعمرت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمّامات والأفران والحوانيت والشوارع

رابعا : سميت أسواق مدينة القطائع ، فقيل: سوق العيارين، وسوق الفاميين، وسوق الطباخين، ولكل من الباعة سوق حسن عامر.

خامسا : بنى الامير قصره ووسعه وحسنه ، وبنى فيه ميدانا حسنا يضرب فيه بالصوالجة ، فسمي القصر كله الميدان من اجل الميدان ، فكان كل من اراد الخروج من صغير او كبير سئل عن ذهابه فيقول الى الميدان.

سادسا : لما مات أحمد بن طولون، وقام من بعده ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه، وزاد فيه، وأخذ الميدان الذي كان لأبيه، فجعله كله بستانا، وزرع فيه أنواع الرياحين، وأصناف الشجر.

سابعا : اضاف خمارويه على اجزاء القصر بناءه لدار حرم النساء ونقل إليها أمهات أولاد أبيه، مع أولادهنّ، وجعل معهنّ المعزولات من أمهات أولاده، وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته، وفضل عنه منها شيء، وأقام لكل حجرة من الأنزال والوظائف الواسعة، ما كان يفضل عن أهلها منه شيء كثير،

ثامنا: يشكل جامع احمد بن طولون ابرز ملامح المدينة ، وقد تولى بناء العين والجامع رجل نصراني حاذق بالهندسة ، وظل هذا الصرح شامخا بعد حرق المدينة ودمارها .

تاسعا : لم تزل مدينة القطائع عامرة إلى أن هدمها محمد بن سليمان الكاتب في أيام المكتفي، حنقًا على بني طولون سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأبقى الجامع.

ختاما نسأل الله تعالى التوفيق والسداد انه سميع مجيب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١.الاعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

٢.الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٣.البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار المعرفة ، بيروت .

٤.التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) ، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

٥.تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠١م.

٦.حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر ، ط١، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٧.ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ) ،تحقيق: خليل شحادة ،دار الفكر، بيروت ، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٨.سنن ابن ماجه ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ،فيصل عيسى البابي الحلبي.

٩.سيرة أحمد بن طولون ، ابو محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي ، تحقيق : محمد كرد علي ، مكتبة الثقافة الدينية(د. ت).

١٠.سيرة احمد بن طولون بين التأريخ والأدب ، صبحي موسى ، مجلة الحياة ، هيئة قصور الثقافة المصرية، القاهرة ، العدد: ١٣٦٦٦ ، سنة ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

١١.شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٢.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٣.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

١٤.الفقية المؤرخ عبدالله بن محمد البلوي،هناء دويدري(د.ت).

١٥.كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري (ت بعد ٣٥٥هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦.العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

١٧.المسالك والممالك ، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ) ، دار صادر، بيروت ، ٢٠٠٤ م.

١٨.معجم معالم الحجاز ، عاتق بن غيث البلادي ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٨ هـ.١٩٧٨م.

١٩.معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٠.معجم المؤلفين ،عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت ١٤٠٨هـ) ، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢١.مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت ٢٠٤هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، مصر ،ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٢.المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ،

ط١، ١٤١٨ هـ.
٢٣.الموسوعة الثقافية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك ١٩٧٢
٢٤.الموسوعة الحرة :http://www.shamela.ws/open.php?cat٤.
٢٥.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ) ، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر (د.ت).
٢٦.هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ) ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ ، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
٢٧.الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)
المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٢٨.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت.